

## ذكر الله واطمئنان القلب



دعا القرآن الكريم المؤمنين إلى ذكر الله سبحانه وتعالى، خوفاً من عقابه، وذكراً لنعمه وآلاهه. وحقيقة الخوف من الله سبحانه هو خوف الإنسان من أعماله السيئة التي توجب إمساك الرحمة وانقطاع الخير من الله سبحانه. والواقع أنَّ الإنسان المؤمن المتقي بروحيته الشفافية وعقله النير لا يملك إلا أن يرتاح قلبه ويتحرك ضميره إذا ذكر الله، ذكراً يكشف جبروت الله وغضبه وانتقامه.. يقول تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ) (الأనفال/ 2)، ويقول تعالى: (اللَّهُمَّ زَرْلَ أَحْسَنَ الْجَادِيَّةِ كَيْتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ رَقْشَعِرْ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رِبَّهُمْ ثُمَّ تَلَاهُنْ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى بِهِ مَنْ يَهْدِي مَرِي) (الزمر/ 23). وهذا الوجل وتلك القشعريرة إنما تتبع من ذكر يوم القيمة، والأجزاء الرهيبة التي تحيط بالمذنبين في ذلك اليوم الحاسم، وموقف الخالق عز وجل وحكم العادل بين جميع البشر الذين خلقهم على مر السنين..

وأمام هذه الصورة.. صورة الوجل والقشعريرة، تقف صورة مقابله للإنسان الذاكر.. صورة الإنسان المطمئنُ القلب.. صورة الإنسان الذي لا يفتأ عن شكر الله، وذكر الذِّعَم الإلهية.. الإنسان الذي لا تغادر شعوره فكرة الاطمئنان إلى رضا الله سبحانه وتعالى.. يقول تعالى: (قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَرَبَّهُ مِنْ أَرْبَابَ تَطْمَئْنَنْ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئْنُ الْقُلُوبُ أَلَا مَنْ آمَنَ وَعَمَلَ وَالصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبِ) (الرعد/ 29-27)، فالإنسان المؤمن الذي أتاك ورجع إلى الله سبحانه بجوارحه وقلبه وشعوره هو الإنسان الذي ينشر ذكر الله عز وجل على قلبه طلاقاً من الرحمة والحب والطمأنينة.. فإليمان بالخلق العظيم لا يفرز إلا السكون والاستقرار في قلب ذلك المؤمن.. ألا بذكر الله تطمئن القلوب.. نعم إنَّ القلوب المعدبة في الأرض لا تجد لها بسلاماً يشفيتها من معاناة الحياة ومشقتها غير ذكر الله، والتلذذ بالاتصال به سبحانه.. وقاعدة الاتصال بما عز وجل هي القلب.. فإذا كان القلب سليماً، مؤمناً، كان الاتصال بالخلق متواصلاً، متيناً، قوياً.. وإذا زاغ القلب عن ذكر الله، لم يبق من القاعدة الإيمانية للإنسان أرضاً يستند عليها، فيزيغ قلب الإنسان من الهدى إلى الضلال.. يقول تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَرَاعَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (الصف/ 5)، ويقول تعالى: (فَإِذَا زَهَرَ لَا تَعْمَلَ الأَهْمَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلَ الْقُلُوبُ الْأَتْقَى فِي الصُّدُورِ) (الحج/ 46).

إنَّ السكون والطمأنينة التي تغمر قلب الإنسان المؤمن، وهو في حرارة الاتصال بما تعالى، إنما

ترمز إلى أن ذكر الله، إنّما هي عملية تتوافق مع الطبيعة الفطرية للإنسان، وأنّ الذكر الكثير إنّما هو عملية رجوع المخلوق المضعف لخالقه القوي.. وبالنتيجة، فإنّ ذكر الله سبحانه له إنّما يمنح الإنسان المؤمن شيئاً لو اجتمعت الدنيا كلها بعلمها وقدراتها، لما وفرته لذلك الإنسان.. تلك هي طمأنينة القلب، وسكون النفس، وهدوء الخاطر.. وبين القشعريرة والطمأنينة، وبين الوجل والسكون، يتقلب الإنسان المؤمن بين الرجاء والأمل، بين رحمة الخالق وبين عدالته، بين القشعريرة لذكر الله وذكر العذاب، وبين الطمأنينة لرحمة الله ورأفته.. ▶

المصدر: كتاب الأخلاق القرآنية